﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الحجر: 27]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكَرَ خلْقَ الجانِّ بعد ذكْرِ خلْقِ الإنسانِ، ليأخُذوا حِذْرَهم منه

لمّا ذكرَ اللهُ تعالى خلْقَ الإنسانِ أتْبَعه ذكْرَ خلْقِ الجانِّ من قبلِه، ومنه يَتَخَلَّصُ إلَى التَّذْكيرِ بِعَداوةِ الشَّيطانِ لِلْبَشَرِ لِيَأْخُذوا حِذْرَهُم مِنْهُ ويُحاسِبوا أنْفُسَهُم على ما يُخامِرُها مِنْ وَسْواسِهِ بِما يُرْديهِم في الهلاكِ[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّمُومِ﴾: أصلُ (سم): يَدُلُّ على مَدْخَلٍ في الشَّيءِ، كالثُّقْبِ وغَيْرِه، فمِنْ ذَلِكَ السَّمُّ والسُّمُّ: الثُّقْبُ في الشَّيْءِ. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: 40]، والسُّمُّ القاتِلُ، يُقالُ: فَتْحًا وضَمًّا؛ وسُمّيَ بذلكَ لِأَنَّهُ يَرْسُبُ في الجِسْمِ ويُداخِلُهُ، خِلافَ غَيْرِهِ مِمّا يُذاقُ. والسَّمومُ: الرّيحُ الحارُّ، لِأنّها أيْضًا تُداخِلُ الأجْسامَ مُداخَلَةً بِقوَّةٍ، وتؤثِّرُ تأثيرَ السُّمِّ[2]. والسُّمُّ: الإصلاحُ بَيْنَ النّاسِ، وذَلِكَ أنَّهُم يَتَبايَنونَ ولا يَتَداخَلونَ، فإذا أُصْلِحَ بينهم تَداخَلوا. والمرادُ من قولِه: ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾، أي: منَ الرّيحِ الحارّةِ الَّتي تقتُلُ؛ وذلك لِشدَّةِ حرارتِها، وقوَّةِ تأثيرِها، فإنّها تنفذُ في مسامِّ البَدَنِ[3].

المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ المادّةِ التي خُلِقَ منها إبليسُ، قبلَ خَلْقِ الإنسانِ

بيّنَ اللهُ تعالى بعد ذلك المادّةَ الَّتي خُلِقَ منها الجانُّ؛ حيث إنَّ إبليسَ - أبا الجنِّ، المُتَواريَ عن الأعيُنِ - خَلَقَه اللهُ ﷻ من قبْلِ آدمَ مِنَ النّارِ الشَّديدةِ الحرارةِ. فالآيةُ تضمَّنَتْ إيماءً إلى شرَفِ آدمَ عليه السلام

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/52، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/42.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سم).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/38.

وطيبِ عُنصرِهِ وطهارةِ مَحتدِه، وعلينا أن نُؤمنَ بأنَّ الجنَّ خُلقتْ منَ النّار، ولكنّا لا نعرفُ كُنهَ ذلك ولا حقيقتَه، فذلك ما لا سبيلَ إلى معرفتِه إلّا من طريق الوحْيِ[1].

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ العطْفِ في الآيةِ:

تنوُّعُ خلْقِ الله دَليلٌ على بديعِ صُنْعِه وعظيمِ شأنِه

عُطِفَتْ جُملةُ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ على ما قبْلَها، لِمناسبةِ بيانِ تنوّعِ خلْقِ اللّه تعالى وبديعِ صُنعِه، ولإكمالِ الكلامِ على بدْءِ خلْقِ الثّقلَيْن، وللإدْماجِ والتّمهيدِ إلى بَيانِ نَشْأةِ العَداوة بَين بني آدَمَ وجُنْدِ إبْليسَ[2].

دَلالةُ (ال) في قولِه ﴿ٱلْجَآنَّ﴾:

خلَقَ الله أصْلَ الجِنِّ من نارِ السَّمومِ

(ال) عهديّةٌ، للإشارةِ إلى أبي الجِنِّ، وذهبَ بعضُ المُفسّرين إلى أنَّه إبليسُ، وجزمَ به السّمينُ الحلبيُّ[3]، ويجوزُ أن يرادَ بـ(ال) الجِنْسُ كما ذُكِرَ في لفظِ الإنسان؛ لأنّ تشعُّبَ جنسِ الجنِّ لمّا كان مخلوقًا من مادّةٍ واحدةٍ كان الجِنْسُ بأسْرِه مخلوقاً منها، والمعنى: خلقْنا أصلَ الجنِّ من نارِ السَّموم[4].

بَراعةُ مَجيءِ جُملةِ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾:

الجَمْعُ بين الألفاظِ القليلةِ والمَعاني الكثيرةِ من بديعِ بَلاغةِ القرآنِ

لمّا كان المناسبُ هنا هو العطْفُ على جُملةِ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وكانتِ الجُملةُ فعليّةً جاءت جملةُ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ كذلك، ولمّا كان المرادُ تقويةَ المعنى والتّنبيهَ على نوعِ خلْقِ الجانِّ والاهتمامِ به، لِمخالفتِه لخلْقِ الإنسانِ ولِما سيُذكر بعدُ من عداوتِه للإنسانِ بدأ بذكْرِ لفظِ الجانِّ منصوبًا ليكونَ على طريقِ الاشتغالِ، فتحقَّقَ

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 2/10، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 431، والمراغي، تفسير المراغي: 14/21.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/42.

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/436، والسمين الحلبي، الدر المصون: 7/157.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/74.

البدءُ بالاسْمِ مع فِعليَّة الجملةِ ليكونَ بطريق الإجمالِ ثمَّ التّفصيلِ مع تقويةِ المعنى[1]؛ لأنّ ﴿وَٱلۡجَآنَّ﴾ منصوبٌ بفعلٍ يُفسّره المَذكورُ، فهو بتقدير حصولِ جُملتَين على معنى التَّكرار، وتقديرُ الكلام: (ولقد خلقنا الجانَّ خلقناه من قبل)، فأوجزَ بحذْفِ الفعلِ مع بقاء معنَى التّأكيدِ، فهو كالجمْعِ بين الإطنابِ والإيجازِ بتركيبٍ واحدٍ، وإن لم يوجَدْ ثَمَّ إطنابٌ في الحقيقةِ.

دَلالةُ ﴿مِن﴾ في قولِه ﴿مِن قَبۡلُ﴾:

خلْـقُ الجانِّ أسْبقُ من خلْقِ الإنسانِ، ولا فضْلَ في الأسبقيَّةِ

﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ الزّمانيّةِ، والمعنى: خلقْنا الجانَّ في زمنٍ ابتدأ قبْلَ زمنِ خلْقِ الإنسانِ، وفائدتُه تَعْليمُ المخاطَبين أنَّ خَلْقَ الجانِّ أَسْبَقُ[2]، والإشعارُ أن لا فضلَ لهم في أسبقيَّةِ خلْقِهم على خلْقِ الإنسانِ، إذ أمرَ إبليسَ أن يسجدَ لآدمَ، ولم يقل (والجانَّ خلقناه قبل) بحذف (مِنْ)؛ لتأكيدِ تعْيينِ ابتداءِ خلقِ الجانِّ قبل خلقِ الإنسان، وللإيذانِ بتقليلِ زمانِ سبْقِ خلْقِه وتقريبِه[3].

فائدة ﴿مِن﴾:

حرف الجرِّ ﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ تبعيضيَّةٌ[4]، بمعنى أنَّ خلْقَ الجانِّ كان من بعضِ نار السَّمومِ.

دَلالةُ الإضافةِ في ﴿نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾:

الجانُّ مَخلوقٌ منَ النّارِ الحارّةِ الشّديدةِ النّافذةِ في المَسامِّ

لمّا كانتِ الإضافةُ على معنى اللّامِ وكان لفظُ السَّموم بمعنى الرّيحِ الحارَّةِ كان المعنى من نارِ الرّيحِ الحارَّةِ، فالجانُّ مخلوقٌ من نارِ الحرِّ الشّديدِ النّافذةِ في المسامِّ، وفائدةُ بيانِ أصلِ خلْقِ الجنِّ الإيذانُ بحكمةِ اللّه تعالى في إتقانِ المَزجِ والتّركيبِ في هذا الخلْقِ وبيانُ المقابلة بين أصلِ خلْقِ الإنسانِ وأصْلِ خلْقِ الجانِّ،

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/158، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/43.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/44.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/52.
(4) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/185.

ويحتملُ أن يكونَ لفظُ السَّمومِ بمعنى النّارِ الشّديدةِ الحرارةِ فتكونَ الإضافةُ بيانيَّةً[1].

نُكتةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿ٱلسَّمُومِ﴾:

عِظمُ حَـرِّ النّارِ التي خُلِقَ منها الـجـانُّ، فـهي تقتلُ لفرْطِ حرِّها

عبّرَ البيانُ الإلهيُّ بلفظِ السَّموم، التي هي الرّيحُ الحارّةُ؛ للإشعارِ بأنَّ النّارَ الحارَّةَ التي تكوّنَ منها الجانُّ بلُطفِها تنفذُ في المسامِّ، فتقتلُ بدخولِها في المَسامِّ لإفراط حرِّها وحَرِّ ريحِها[2].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/359، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/476، والسمين الحلبي، الدر المصون: 7/185، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/145.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/576، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/138.